أسعد عرابي بمناسبة معارضه بين دمشق وحلب:

ضعف ثقافة التشكيليين العرب جعلتهم متأخرين نصف قرن عن نظرائهم الاوروبيين!

لوحة «مواسم الهجرة» (القدس العربي)

من حفل افتتاح معرض اسعد عرابي (القدس العربي)

دمشق ـ «القدس العربي»:

يقام حاليا في حلب (وضمن تظاهرة حلب عاصمة للثقافة الاسلامية لعام 2006) معرض بالغ العناية للفنان أسعد عرابي وذلك بعد معرض ضياء العزاوي الذي أقيم في القلعة. استضافت المعرضين «دار وصالة كلمات» التي صمم لها العزاوي شعارا جديدا. سبقت معرض عرابي ثلاثة معارض متزامنة في دمشق بالاشتراك مع نحات شاب لامع هو فادي يازجي، اقيمت في المركز الثقافي الفرنسي وصالة عشتار وغالوري مصطفى علي، ومن الجدير بالذكر انه صدر خلال هذه التظاهرة كتاب اخير لعرابي بعنوان: «صدمة الحداثة في اللوحة العربية»، ثم سحب من التوزيع من أجل تصحيحه واعادة اخراجه من قبل الفنان احمد معلا. بخصوص التظاهرة الثلاثية في دمشق، والمعرض الشخصي في حلب (مع محاضرة عن البعد الصوفي في اللون في المكتبة الوطنية في حلب»، أجرت «القدس العربي» مع عرابي الحوار التالي:

■ ما هو الفرق بين معرض حلب الشخصي الراهن والمعارض التي سبقته (او تزامن بعضها جزئيا معه) اقصد الثلاثة المشتركة مع النحات فادي يازجي في دمشق؟ وهل دعوتك الى معرض حلب (غالوري كلمات) كانت نتيجة لاصداء تظاهرة دمشق هذه؟

■ الفرق الاساسي هو الذي ذكرته انت، ان معرض حلب دعوة شخصية ضمن تظاهرة حلب عاصمة للثقافة الاسلامية لعام 2006 والتي دعي اليها ضياء العزاوي قبلي، وهي مبادرة من دار للعرض والنشر يديرها عدنان احمد، دعيت فيها ليس فقط للعرض وانما ايضا لالقاء محاضرتين عن الفن الاسلامي (هو ميدان اختصاصي النظري)، اقتصرت على الاولى بسبب وضعي الصحي بعنوان «البعد الصوفي في اللون» في المكتبة الوطنية. حملت احدى اللوحات الى جانب المنصة كمثال عملي عن هذه الاطروحة، وهنا نعبر الى طبيعة المعرض المغايرة لنظائرها في دمشق وهو الاختيار القصدي لاعمال لا تخفي تأثير المنمنمات (رسوم المخطوطات) سواء على المناخات اللونية او العمارة الهندسية او حتى الموضوعات، فبطاقة الدعوة كانت صورتها التي تمثل اللقاء المستحيل بين الأمير الفارسي خسرو والأرمنية شيرين ما هو الا احتفاء بعبقرية بهزاد في تبريز وهيرات القرن الخامس والسادس عشر للميلاد. اما المعارض الثلاثية في دمشق فقد كان الاختيار يرتبط بهاجس المقاربة والمقارنة الاسلوبية الثنائية التي تصل حدود التشابه احيانا بين الموضوعات الميثولوجية، ثم ان دعوة معرض حلب سبقت تاريخ المعارض الدمشقية.

■ لعل هذا يثبت ضعف دعوى تأثرك بالتصوير العربي الاسلامي (فن رسوم المخطوطات) او على الاقل محدوديته غير الظاهرة، بسبب الحداثة او بالاحرى ما بعد الحداثة التعبيرية التي ينتهجها اسلوبك منذ سنوات بعيدة، ثم تباعد الموضوعات غالبا كما اشرت انت نفسك؟

■ العديد من اصدقائي الفنانين يشاركونك هذا الحكم، انا اجد ان نصفه صحيح ونصفه يجانب واقع الحال. اذا اتجهنا مباشرة الى مركز هذا الالتباس وهو اختيار الموضوعات، وجدناها على الغالب تبحث ضمن حداثتها التي تذكرها عن ميثولوجية معاصرة تستقي مدادها التخيلي من آلية الاساطير السورية ـ الرافدية، من كنعانية وآرامية الى تدمرية ونبطية ومتوسطية فينيقية او هلنستية الخ.. خاصة تلك التي تستعيد دورة الخلق والخصوبة والأمومة، لدرجة ان بعضها في دمشق معرض المركز الثقافي الفرنسي اتهم بالجرأة والاباحية (بتجن غير بريء)، ولكن الابرز في هذه الموضوعات هو تمجيد الكينونة الحية (من جسد بشري او حيواني)، والشطح بسفينة نوح باتجاه التناغم والتعايش وتبادل اقاصيص الحب بين الاجناس الحية المتباعدة، مثل الغانية البشرية والفيل ووليدهما المشترك، بالقدر الذي تستحضر فيه هذه الموضوعات ردود الفعل الطوباوية او الايكولوجية المعترضة على افناء الاجناس الحية وتدمير توازنها الديموغرافي في الطبيعة، بالقدر الذي تستحضر فيه طريقة الرسم بعضا من حساسية رسوم كليلة ودمنة او خاصة رسوم كتاب الحيوان (الجاحظ) المحفوظ في مكتبة الفاتيكان والمنجز منذ القرنين التاسع والعاشر الميلادي.

ان معايشتي البحثية الدائمة لهذه الرسوم ولسنوات دراسية مديدة لا يمكن ان تخلو من التأثير. هناك استعارات بنائية مباشرة مثل نظام الهامش وهجرة الاشكال من الحيز الفرضي الداخلي الى الفراغ المطلق، ولكن الأهم من كل هذه الملاحظات هو الانخراط في افضلية اللون، ومقارباته مع المقامات الموسيقية، اي البحث عن اللون الصائت الذي يرفع الحدود بين البصيرة و«السماعي» وهو ما أشير اليه بالبعد الوجداني ـ الوجودي ـ الوجدي. يطول الحديث عن هذا الموضوع خاصة وانه يمثل مركز اختصاصي النظري.

■ الا توجد محاذير من استغراق الفنان في الدراسات النظرية؟ خاصة الممارس للنقد المختص مثلك؟

■ الخطر الوحيد على اللوحة هو نقص الموهبة والخبرة، وهذا لا ينطبق علي، فأنا اعيش وعائلتي من اللوحة منذ ما يقرب من نصف قرن، ومنذ ثلاثين عاما في مجتمع فرنسي لا تتطابق ذاكرته الثقافية معنا. انا اكسب معيشتي من بيع اللوحة (على الاخص في اوروبا) وليس من كتاباتي البحثية (خاصة باللغة العربية). وقد تكون استقالة اغلب الفنانين العرب من الثقافة والفضولية المعرفية هي نقطة الضعف الاساسية التي جعلتهم مقصرين نصف قرن منذ عصر النهضة عن سياق التيارات الغربية، الفنان الاوروبي لا يخجل من الثقافة ويعتبرها جزءا من محترفه اليومي لذا لا يمكن ان نعثر على فنان دون كتابة او فكر او حتى مكتبات تشكيلية فالفنانون هم الذين اسسوا للكتابة التشكيلية سواء الجمالية منها أو النقدية منذ سينياك وحتى قازاريللي مرورا بماتيس وبيكاسو وسواهم. هناك موهبة الاداء (فن الرسم والتلوين وسواهما) وموهبة الفكر، اغلب الفنانين يقتصرون على الجانب الاول، لذلك تبدو اساليبهم غالبا صقلا واستعادة اجترارية للنماذج الغربية الجاهزة.

■ انت نفسك تعترف بأكثر من مناسبة بتأثير الفنانين على لوحتك؟ الا تقر مثلا بالتقارب مع فاتح المدرس؟

■ انا اعتبر فاتح المدرس (مثله مثل حامد ندا وصليبا الدويهي) يملك توازنا بين موهبة اليد والخيال والفكر. انا منحاز الى منهجه الذي يعتمد على الصراع الدؤوب بين الخط والمساحة، ولكن الانحياز شيء والاستحواذ شيء آخر، انا لا اسمح لأي فنان مهما كان انحيازي له واعجابي به ان يدخل عالمي الابداعي دون ان اعيد الاستحواذ على خصائصه وصهره حدسيا في عالمي الداخلي، العديد من الفنانين في الغرب منحازون الى بيكاسو ولم يصل اي واحد منهم الى القدرة على الاستحواذ على خصائصه كما فعل مثلا ساورا.

الثقافة والمثاقفة قد تعطل عفوية وتلقائية الفنون الفطرية (مثل فاطمة حسن وباية محيي الدين وزغيب) ولكنها زاد الفنون النخبوية التواصلية.

■ أحب ان اختم الحوار بسؤالين شخصيين، الاول عن سبب الالتباس حول تصنيف جنسيتك، انا نفسي لا اعرف هل انت لبناني ام سوري؟

■ ان التلاعب في هذا الموضوع كان بقصد الاقصاء والتطنيش لا اكثر، البعض يتمنى ان اكون فرنسياً وانتهى بدافع الغيرة. الواقع انني ومنذ ولادتي في دمشق 1941 لبناني الجنسية، ومنذ ثلاثة عقود فرنسي من اصل لبناني وهكذا، واهلي اغلبهم يقطنون صيدا او المهجر، انتسابي الى المحترف التعبيري السوري يملك تاريخه فقد درست وعملت في الجامعة (كلية الفنون) عشر سنوات مثلي مثل عمر أنسي عندما كان في الاردن او جورجيت نخلة في الاسكندرية، وقد اعلن د. عفيفي البهنسي في ندوة دمشق الاخيرة التي اقيمت في غالوري مصطفى علي بمناسبة معرضي مع يازجي بان اللبناني اسعد عرابي يملك تأثيرا وتاريخا مديدا في الفن السوري، وهذا هو الاعتراف الأصح، فقد اخرجني «سيزار نمور» (رغم صداقتي العميقة معه) من جنة الفن اللبناني في كتابه الاخير باعتباري سورياً، ولم يذكرني «مقصود» في قاموسه عن الفن السوري لأني لبناني وهكذا.

■ الثاني يرتبط بموضوع أشد حساسية وهو موضوع الاشاعة حول مرضك؟

■ لم يعد هذا الموضوع في حدود الاشاعة، فإصابتي بالسرطان، تجاوز تاريخ اكتشافها المتأخر العامين، لم تؤثر على نشاطي الفني او الكتابي، وقد تكون انضجت تصويري اكثر فأنا احس بحمى الانتاج وقيمة الوقت وعبثية الزمن، عشت مثل هذه التجربة مع اصدقاء قريبين آخرها مع محمد القاسمي، حتى انه صورني في العديد من لوحاته الاخيرة. ذكرت في كتابي الذي صدر مؤخرا (حاليا يعاد تصحيحه) بأن اهم ما في تجربة الحياة واللوحة اننا لا نعرف وقت انقضائهما، ولا يمكننا ان نتوقع خصوصية اللحظة المعاشة في الاثنتين. لا شك في أن التصوير يدفع امثالي الى القبول بقدر العزلة والتوحد، فالانسان يولد لوحده ويموت لوحده ويصور لوحده.

نقاد: مخرج أول فيلم سعودي يتجنب أي قضايا تخص مواطني مملكته

روتردام ـ (هولندا) ـ من سعد القرش:

ما ان تشعر بالتفاؤل بانتاج أول فيلم روائي سعودي حتى تصاب بما يشبه الاحباط لغياب المملكة المعروفة بتشددها ازاء الفنون عن أحداث فيلم «ظلال الصمت» الذي جعله مخرجه عملا تجريديا يعفيه من أي تبعات. والتعميم في الفنون يشير الى عدم الجرأة وتجنب الصدام والاكتفاء بالوقوف في منطقة محايدة رمادية بين التصريح والتلميح.. والقول والصمت وهي طريقة انتهجها عبد الله المحيسن الذي سيكتب له أنه أول سعودي يخرج فيلما روائيا طويلا. وتدور أحداث الفيلم في مرحلة ما بعد الاحتلال الامريكي للعراق عام 2003 في مكان غير محدد لكنه بالطبع خارج المملكة التي يحظر فيها على السيدات قيادة السيارات أو الاختلاط.

وتعالج الاحداث في صورة رمزية قضية الاستبداد وكيف يمكن لنظام متسلط أن يحكم السيطرة على العقول والكفاءات بعزل أصحابها في مكان غامض اسمه «المعهد» أشبه بقلعة لا يمكن الخروج منها تمهيدا لغسيل عقولهم واحتوائهم وتأهيلهم من خلال التدريب على كيفية الظهور بصورة افتراضية يريدونها هم لانفسهم في المجتمع بدلا من الصورة الحقيقية. وكان المفكر الفرنسي جان بودريار قد أطلق في مطلع التسعينيات مقولة شهيرة هي أن حرب الخليج عام 1991 التي انتهت باخراج الجيش العراقي من الكويت يشبه الاحباط لغياب المملكة المعروفة لم تقع بل شاهد الناس منها نسخة تلفزيونية تتفق مع ما أراده الساسة الامريكيون الذين قادوا ما عرف انذاك بقوات التحالف لتحرير الكويت. وفي فيلم المحيسن يصبح علماء ومفكرون ضحايا مسؤولي المعهد وتجرى عليهم اختبارات صارمة ويخضعون ليلا ونهارا لمراقبة بالصوت والصورة حتى تكاد أحلامهم تسجل وتختلط عليهم اليقظة بالاحلام الى أن تخوض زوجة أحدهم مغامرة حين تقود سيارتها في الصحراء وتقابل شيخا بدويا يتعاطف معها ويدبر حيلة ينفذها أبناؤه وأتباعه باقتحام المعهد وانقاذ الزوج وضحايا اخرين.

وأدرج الفيلم ضمن مسابقة مهرجان الفيلم العربي بروتردام في هولندا الذي انتهت دورته السادسة الاحد الماضي. لكن مخرجه اعتذر قبل العرض عن ذلك مكتفيا بعرض الفيلم خارج المسابقة حتى تتاح له فرص المشاركة في المسابقات الرسمية بمهرجانات أخرى. وفي ملف أنيق أجاب المخرج عن سؤال افتراضي هو «ما المهرجانات التي سيشارك فيها الفيلم.. خطة العرض في المهرجانات بدأت ونستعد الان للمشاركة في تظاهرة مهرجان الفيلم العربي بباريس ومهرجان قرطاج «السينمائي في تونس» وهناك دعوات ندرسها للمشاركة في مناسبات سينمائية عالمية».

كما سجل الملف الذي حرص غلافه على أن «ظلال الصمت» هو «أول فيلم روائي عربي سعودي» الجوائز التي حصل عليها مخرجه ومنها ميدالية الاستحقاق من الدرجة الاولى من العاهل السعودي الراحل فهد بن عبد العزيز تقديرا لجهوده في مجال السينما الوثائقية وشهادة تقدير عن تلك الجهود من الامير سلطان بن عبد العزيز ولي العهد اضافة الى شهادة تقدير من الامم المتحدة عام 1976 عن أول فيلم سعودي قصير عنوانه «مدينة الرياض» كما «تلقى خطاب شكر وتقدير من الحبيب الشطي رئيس منظمة المؤتمر الاسلامي تقديرا على العمل الذي يخدم الاسلام والمسلمين».

ويعمل المحيسن «59 عاما» في مجال السينما الوثائقية منذ نحو 30 عاما ومن أفلامه «اغتيال مدينة» 1977 عن الحرب الاهلية في لبنان و«الاسلام جسر المستقبل» 1982 و«الصدمة» 1991 عن اثار غزو الرئيس العراقي السابق صدام حسين للكويت في أغسطس اب 1990. ويبلغ طول فيلم «ظلال الصمت» 110 دقائق وهو من انتاج الشركة العالمية للدعاية والاعلان التي أسسها المحيسن بعد أن أنهى دراسته في بريطانيا في السبعينيات حين «أنشأ أول استوديو تصوير سينمائي في المملكة» العربية السعودية التي تخلو من دور للعرض السينمائي. وشارك في الفيلم الذي صور في سوريا ممثلون سعوديون وعرب منهم السوريون غسان مسعود وفرح بسيسو ومنى واصف والكويتي محمد المنصور. والموسيقى التصويرية لزياد الرحباني. ويبدو الفيلم في نصفه الاول على الاقل أقرب الى مضخة للافكار الذهنية عبر حوارات ومناظرات يتبارى فيها المتحدثون في اطلاق «الكلام الكبير» عن العولمة والاحتلال والانتداب والاستعمار الجديد من دون أن تترجم هذه الافكار الى دراما. فأين السعودية كمكان أو واقع اجتماعي من الفيلم.. يجيب الناقد السينمائي المصري سمير فريد قائلا ان هذا العمل الذي يتجنب الخوض في أي قضايا تخص السعوديين يمكن اعتباره فقط «أول فيلم لمخرج سعودي وليس أو فيلم سعودي».

لكن هيفاء المنصور أول مخرجة في المملكة شاركت في المهرجان بفيلم وثائقي طويل عنوانه «نساء بلا ظل» نوهت به لجنة التحكيم «تقديرا للجرأة في الطرح ومساندته قضية المرأة واظهارها على أنها مسؤولة أساسا عن وضعها وأيضا اظهاره كيف أن النمو الاقتصادي المتسارع في الخليج عموما ساهم في ارجاعها الى الوراء بدل أن ينهض بها».

وفي فيلم «نساء بلا ظل» تنتقد سيدات سعوديات بصراحة مدهشة التقاليد الوهابية التي اعتبرتها تشل حركة نصف المجتمع في حين لا يزال بعض رجال الدين السعوديين في الفيلم مختلفين حول قضيتي صوت المرأة والنقاب. لكن فيلم «ظلال الصمت» يقفز فوق مشكلات كثيرة حتى أن الناقد العراقي عبد الرحمن الماجدي قال لرويترز «السعودية غائبة في الفيلم سوى من اسم المخرج وممثل كان أداؤه ضعيفا جدا ومرتبكا من هالة النجوم والنجمات من سوريا الذين طغى وجودهم على الفيلم فبدا كفيلم سوري معتاد. والخطوة الذكية الوحيدة في الفيلم هي هرب المخرج باتجاه استخدام العربية الفصحى في الحوارات فتفادى عدم اجادة الممثلين السوريين للهجة السعودية وخشية الاحراج باعتبار الفيلم سعوديا اذا تحدثوا بلهجتهم السورية. وهي خطوة للايحاء بان موضوع الفيلم يشمل كل الدول العربية».

ووصف الفيلم بالمباشرة حيث ركز على ما يجري في العراق وان غلفه باشارات ورموز «بدت مضحكة فما دار من حوارات لا تبتعد عما يدور من أحاديث في الشارع العربي من وجود مؤامرة تستهدف العرب».

وتساءل «اذا كان المخرج يريد الاعلان عن رأيه من خلال شريط سينمائي بأن العراق محتل من قبل أمريكا وهذا معروف للجميع فهل يحتاج ذلك الى تجنيد هذا العدد من الممثلين والتقنيين».

وقال الماجدي انه كان جديرا بالمحيسن أن يكون مباشرا ويسمي الشخصيات بأسمائها فالمعهد هو المنطقة الخضراء المحصنة في العاصمة العراقية بغداد التي يوجد بها مقر القيادة العسكرية الامريكية ومقر الحكومة العراقية كما ركز المخرج على «الشبه الكبير بين مدير المعهد والحاكم المدني «الامريكي» السابق للعراق بول بريمر أما الشيخ البدوي فهو شبيه «عضو هيئة كبار العلماء بالعراق» حارث الضاري وابنه هو «أبو مصعب» الزرقاوي اللذين أبرزهما المخرج كبطلين أسطوريين. «جعل من البدو أبطالا أسطوريين فكاميرات المعهد التي تتسلل حتى داخل رؤوس النزلاء وتسجل أحلامهم عجزت عن تصوير البدو المتسللين لانقاذ الزوج...ضاع الفيلم بين أخطاء تقنية ولغة خطابية مباشرة ونهاية متوقعة جدا انتصر فيها الابطال البدو على التقنية الغربية».

(رويترز)

تداعيات

أيتها «العربية السعيدة» جميلة أنت لأنك مؤلمة، مؤلمة، مؤلمة!

منى وفيق*

■ كيف أكتب عن اليمن ولماذا؟ أنّى لي أن أفعل هذا وأنا بعدٌ خدرة، سحر صنعاء تعدّى القات بمراحل ومراحل.. أينه القنصل اليمني بالرباط؟ ألم يكن أول من حدثني عن سحر صنعاء وعن تحريضها الكبير على الابداع والحياة، أعده أنني هذه المرة لن أخطئ في لفظ اسمه وسأناديه بأبي الرجال وليس أبي الدجّال.. أينه يوقظني من سحر صنعاء، صنعاء المدينة التي لا تدرك أنك أغرمت بها الا بعد أن تغادرها!!

هل تعنيني الأمكنة بقدر ما تعنيني الوجوه؟ وهل المكان غير سحنات القلوب؟ هي ذي ارتسامات وارتسامات عن الأمكنة، عن الزمان، عن الشخوص وعن مواقف وألوان صنعاء فصنعاء مدينة ملونة، مدينة الفصول والأمكنة والمزاجية بحق!!

مطار صنعاء

شممت رائحة افريقيا والطائرة تحط رحالها في مطار صنعاء الدولي، ثمة شمس غير خافية تبثك الأمان والخوف تآنيا هناك، أحسست أن حرارتها امتدت لقلبي باستئذان مهيب. المطار ليس بكبير لكنه كاف ليتسع لهليكوبتر عسكرية ولاخرى واخرى وأخرى.. الاحساس بكوني لاجئة غير طبيعية لم يفارقني في المطار ،نظرة مفتش الجوازات اليّ نقلت لي احساسا مرتجفا، احساسا يؤكد على أنني ابنة اليمن المرتدة التي عادت ترتمي في أحضانه تائبة، عاشقة ، مهووسة فقط بفكرة العودة لليمن، بفكرة ممارسة نوع من الشوفينية ..شوفينية يمنية خضراء كالفيزا اليمنية، كالقات، كبويهيمية بؤبؤ الأعين اليمنية!!

باص، فجولة، فسفر وتاريخ

أول ما وطأت رجلي الأرض اليمنية كدت أنطق شلاّه يا صنعاء، شلاّه يا شيخة المدن العربية، هي ذي المغربية جاءتك ملتمسة دفء حضنك .. هي ذي المغربية تسألك الوساطة بينها وبين قلبها...!

الباص الذي أخذنا من المطار الى فندق حدة رماد كان صغيرا، فانتازياً على نحو جعلني أقارن بينه وبين قوارب الموت التي يركبها المهاجرون المغاربة للهجرة لاسبانيا، الباص هذا كان كفيلا بأن يجعلني أفهم أنه أيضا قارب آخر لكنه قارب حياة جمعنا بحميمية تشكّلت دمعة مرسومة في عين قلبي اليسرى.

الطريق الى حدة رماد كان طويلا شيئا ما، لكنه كان قصيرا ليجعل عينا مغربية تحتضن كل حب صنعاء، كل ترحابها، كل جنونها وعبثها أيضا .عبد الرحمان الغيلان، هذا الشاعر اليمني الدافئ كنظرة الكوالا ظنّني فوجئت بصنعاء وهمس قائلا: لا تتفاجئي هي مدينة بسيطة فعلا لكنها جميلة. عبد الرحمان لم يعلم أن دهشتي ما كانت لبساطة المدينة بل لكوني أحسست صنعاء كالكنغر الأم وأنا ما كنت غير الطفلة الكنغر التي تنطنط في جيبها!

الجولة بالباص لم تكن جولة في المدينة، أبدا لم تكن كذلك.. كانت جولة في التاريخ، أحسست أنني أسافر في التاريخ القديم حاملة حزني وباحثة عن هوية ووجود أنوء بحمله، هل كانت تلك جولة أولى في صنعاء أم تسكعا داخل فيلم ايطالي بخنجر يمني وثوب يمني وقدر يمني أيضا؟!

علّ أكثر ماحتفظت به ذاكرتي البصرية في أولى الجولات في صنعاء هو واجهة منزل نائب رئيس الجمهورية اليمنية، منزل يشهر البطاقة الحمراء في وجه الشمس بدافع الخوف ولا شكّ!!!

فندق حدة رماد

استغربت اسم الفندق لكنني أحببته، لا أعرف لماذ ذكّرني بأغاني «الجيبسي كينغ» التي لا أفهمها لكنني أعرف كم أعشقها، ثمة رابط ولا شك بين «الجيبسي كينغ» وصنعاء، بين أغانيهم وبين حدة رماد، لم أسأل عن معنى الاسم لأن أجمل الأشياء هي تلك التي لا تفهمها ولا تسعى لأن تفهمها أيضا ربّما ...!

في فندق حدة رماد، كل الوجوه تبتسم لك فتصبح الابتسامة مهنة يمنية بامتياز، ابتسامة جعلتني أغفر لموظف الاستقبال سطوه على بسبوستي المصرية ..!

هناك في حدة رماد كل الغرف لك، كل فصول اليمن هناك أيضا .. هناك كانت تتعالى ضحكاتنا، جلساتنا، نقاشاتنا، هناك قرأت ثلاثا من قصصي الطويلة، هناك تناوبنا على الحاسوب الوحيد ..لا أتذكّر أن أحدنا اهتم بادمانه الانترنيتي، فالادمان أصبح يمنيا أيضا بامتياز!

حرصت على أن آخذ صورا في بهو الفندق لأنني أعرف قصور ذاكرتي البصرية مهما كانت قوية، ذاكرتي البصرية التي لا غرو تتجاوزها ذاكرة حدة رماد، فالمكان وفيّ وممتد في ذاكرة التاريخ البصرية..

و«حدّة رماد» لن يكون موحشا أبدا بعد أن غادرناه لأن ذاكرته البصرية كفيلة بالاستيعاب والتمدد والعيش المستمر بالفلاش باك!

باب اليمن

قنينة بيبسي واحدة من يد يمنية سمراء لست أستبدلها ولا حتى بمليون قنينة من عطر شانيل، ولباس يمني تقليدي لهو أكثر أناقة من بذلات سموكينغ فرنسية.. هذا ما كنت أقوله وأنا أتسكع مع الأصدقاء في باب اليمن في سور صنعاء.

هناك تدرك أن للجمال اليمني عمقا خاصا وخالصا، ترى بشكل غريب وممتع كيف أن الوجوه اليمنية مرآة للمعمار اليمني ،للثوب اليمني، للخنجر اليمني، للبن اليمني، للعقيق اليمني، للعسل اليمني أيضا..!

باب اليمن يحتفي بك انسانيا بشكل كبير، في أعين تجاره وبين دكاكينه تختبئ روح انسانية صافية تذكرني بالأرجنتين التي لم أزرها بعد وأحس بانتمائي الكبير لها.. في باب اليمن عصارة روح انسانية ذكرتني بالسوق الداخلي في طنجة ـ بمحمد شكري رحمه الله.. كل ذلك نبهني الى أنني في صنعاء والى أنني لست فيها أيضا!!

صنعاء هي كل المدن العربية، هي لكل المدن العربية ولكنها ليست الاّها!!!

أتيليه الفنون بصنعاء

آه مم فعله بي أتيليه الفنون .. أتذكّر كيف أنني بعد زيارتي له استشعرت ارتفاع درجة حرارتي اذ كنت متخمة بكل ذاك الجمال المكثف والحب..آه مم فعلته بي تجارب يمنية شابة ومدهشة.. من ذا القادر على أن ينسى لوحات مظهر نزار الصوفية الثرثارة المبهجة والعميقة والداعية الى طاولة الجدل والصمت والبكاء ثم البكاء... لا أظنني قادرة بعد على استيعاب جنون الفنانة التشكيلية ريمة قاسم، هذه الفنانة اليمنية الحديدية بلوحاتها المغرقة في الوشاية الاستيطيقية، هي البارعة في القول والفضح بذكاء وهدوء.. وطلال نجار بماذا أعلق على تقنياته التشكيلية الجديدة ومنظاره الماوراء لوني وكذا منقار ريشته الذي يدق اللوحة البيضاء بموهبة كبيرة وثقة أكبر!

في أتيليه الفنون، تستميلك صنعاء القديمة وصنعاء الجديدة.. في أتيليه صنعاء كل المدن صنعاء وكل الألوان صنعاء!!!

في أتيليه الفنون تمسك الألوان واللوحات والريشة من تلابيب قلبك لتأخذك الى صنعاء وحدها حيث لا تشعر باليتم أبدا!!...

* كاتبة من المغرب